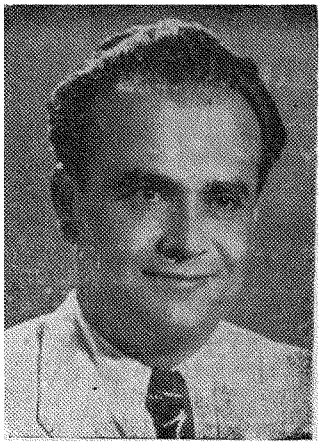

بعض الأصالة العربية .. يا أصحاب الشعر الحديث !

بقلم رئيف خوري

ما الشعر الحديث ؟ تسمية ما زالت غامضة . هل يقصد بها الشعر الذي عزف عن الموضوعات التقليدية (عن المحتوى القديم) لينطلق في اجواء جديدة تفرضها تجارب العصر الحديث ؟ ام هل يقصد بهذه التسمية الشعر الذي هجر المناحي القديمة ، في التخيل واساليب التعبير والبيان ليعتمد مناحي جديدة . ؟ ام ترى يقصد بهذه التسمية الشعر الذي انعتق من القوالب العروضية الموروثة ليحدث له قوالب جديدة او ليتحرر من كل قالب؟

الواقع ان هذه المعاني كلها ، تدخل في مدلول الشعر الحديث عند اصحابه . وهذا ما يجعل هذه التسمية بعيدة عن ان تكون دقيقة المؤدى . ومن ثم كنا نشهد هذه الفوضى والتفاوت في ما يقدم الينا على انه شعر حديث . ولا بأس بمثل نضربه. لنقرأ هذا الكلام لصديقنا الشاعر عبدالوهاب البياتي في ديوان له جديد :

احس بالانسان
دبا يحشى رأسه بالقش والدخان
يباع بالمجان
يحب بالمجان
يكره بالمجان
يقتل بالمجان
يموت بالمجان

ثم لنقرأ هذا الكلام لصديقنا الشاعر ميشال سليمان في مطولته الجديدة « رثاء الخيول الهرمة » :

اندبيه موئل الصمت وخلينا نبارح
متحف الشمع ، نسابق
موكب الحلم سراعا
في قطار من ضياء مرهف الوقع خصيب
فلنا مواعيد أخر

كلا الشاعرين يدفع الينا بمقطعه على انه من الشعر الحديث . ولكن هل من حاجة الى القول ان هذين الضربين من الشعر الحديث متفاوتان . لنفرض ان مقطع البياتي قدم لنا على هذه الصورة : « احس بالانسان دبا يحشى رأسه بالقش والدخان ، يباع بالمجان ، يحب بالمجان ، يكره بالمجان ، يقتل بالمجان ، يموت بالمجان » فما الذي كان ينبهنا الى انه اراد ان يقول شعرا لا نثرا عاديا .

اما مقطع ميشال سليمان فتبقى له ايقاعيته لانه موزون محتفظ بالتفاعيل وان لم يكن وفق النسق القديم . هذا فضلا عن انه كلام احفل بالشحنة الشعرية تعبيرا وتصويرا .

وعلى هذا ، اقول انه لا يجوز حكم واحد على تلك الظاهرات كلها التي اصطلحنا على تسميتها بالشعر الحديث .

فان من هذا الشعر الحديث ما هو النثر لا يختلف عنه الا بطريقة التصفيف في الكتابة . ولو جاز ان نتساهل في امر الشعر هذا التساهل للحق بالشعر كلام كثير، بل اكثر الكلام . ولنضرب مثلا هذه الفقرة لجبران خليل جبران : « جئت لاحيا بمجد المحبة ونور الجمال ... ان سملوا عيني تمتعت بالاصغاء لاغاني المحبة وألوان الجمال، وان طمسوا اذني تلذذت بملامسة اثير ممزوج بانفاس المحبين واريج الجمال ، وان حجبوني عن الهواء عشت ونفسي ، فالنفس ابنة الحب والجمال » .

فما يمنع ان نصفف هذه الفقرة تصفيفا اخر في الكتابة فنرسمها على هذا النحو :

جئت لاحيا بمجد المحبة
ونور الجمال !
ان سملوا عيني
تمتعت بالاصغاء لاغاني المحبة
والحان الجمال !
وان طمسوا اذني
تلذذت بملامسة اثير
ممزوج بانفاس المحبين
واريج الجمال
وان حجبوني عن الهواء
عشت ونفسي
فالنفس ابنة الحب والجمال !

فتصبح عندئذ شعرا حديثا . واشهد اننا لو فعلنا ونسبنا

هذه القطعة الى معدن الشعر لما ظلمنا ، لان في صـورها وعبارتها شحنة محسوسة من الشعر .

ومع ذلك دفع بها الينا جبران على انها نثر .

لست ممن ينكرون ان الشعر العربي في عصـرنا لا يصح لـه ان يبقى نسخة عن الشعر العربي القديم ، يلتزم موضوعاته التقليدية ونسق اوزانه الموروثة ومناحيـه المطروقة في التخيل والبيان .

ولذلك اعجبت بقدر غير يسير من هذا الشعر المسمى حديثا مع ما فيه بعض شعر البياتي نفسه . على ان لي شرطا في هذا الشعر ان لا تتلاشى فيه الايقاعية وان تبقى فيه تلك الشحنة الشعرية المستمدة من اجواء مثيرة يفتحها، وصور موحية يجلوها ، وعبارة مكثفة كانزة ذات اصالة في البيان العربي .

ذلك بأن الشعر اقوى الفنون الادبية طابعا انسانيا عاما ، واقواها في الان نفسه طابعا قوميا خاصا . وان عبقرية اللغة التي بها يؤدى والقوالب التي بها يصب لامـر جوهري حياتي فيه . ومن ثم كان الشعر اعصى الفنون الادبية على النقل والترجمة . ولنأخذ مثالا قول الشاعر الانكليزي ووردزورث في قصيدته المشهورة « الاقاحي » :

For oft when on my couch I lie
In vacant or in pensive mood,
The flash upon that inward eye
Which is the bliss of solitude.
And then my heart with pleasure fills,
And dances with the daffodils.

وتعريبه :

لانني في احيان كثيرة ، وانا مستلق على مخدتي ،
خلي البال ، او ذاهبا مع التأملات ،
تضيء (تلك الاقاحي) على تلك العين الباطنة
التي بها غبطة العزلة ،
وعندئذ يمتلىء قلبي حبورا
ويرقص مع الاقاحي

ان كلام وودزورث بالانكليزية شعر غني بعمق الحس والتخيل والايقاعية . ولكنه على اصلورة التي نقل بها في العربية ليس بشيء ، كما كان يقول ابو الفرج الاصفهاني.

وأكبر ظني أن بعض أصحاب هذا الشعر الذي يسمى حديثا قد درجوا على أن ينظموا بالعربيـة شعرا كأنمـا يترجمون عن لغة غربية .

وهذا ما ينأى بكثير من هذا الشعر المسمى حديثـا عن ان يكون حديثا .

فيا اصحاب الشعر الحديث ، عودة ولو بمقدار الى الاصالة العربية .

رئيف خوري

دار الاداب تقدم

الطبعة الثانية مـن

الروايـة العـالميـة الرائعـة

زوربا

تاليف الكاتب اليوناني الكبير

نيكوس كازانتزاكيس

ترجمة جورج طرابيشي

رواية مدهشة تنبض بالحياة وتمـزج الاحداث المشوقة بفلسفة عميقة تثير التأمل والمتعة . وقد اتيح للمواطنين العرب حديثا ان يروا هذه الرواية على الشاشة البيضاء تحت عنوان « زوربا اليوناني » . وهذا الشهر تصدر الطبعة الثانية من هذه الرواية ، ولم يمض على صدور الطبعة الاولى اكثر من اربعة اشهر !

الثمن ٥ ل.ل